

تاريخ النشر: 2025/06/01 تاريخ القبول: 2025/05/26 تاريخ الاستلام: 2025/02/24

الاستعارة وفق النظرية العرفانية: قراءة في كتاب "الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية" لعطية سليمان أحمد

✉ **فضيلة دقناتي**²
f.deguenati@crstdla.dz
 وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية – ورقلة/
 الجزائر

✉ **سميرة بن موسى**¹
s.benmoussa@crstdla.dz
 وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية – ورقلة/
 الجزائر

Metaphor according to cognitive theory
Reading From The Book (Quranic Metaphor in Cognitive Theory)
by Atiya Suleiman Ahmed

✉ Samira Benmoussa
s.benmoussa@crstdla.dz
Center for Scientific and Technical
Research on Arabic Language
Development -Unit Ouargla
- Algeria

 **Fadila Deguenati**
f.deguenati@crstdla.dz
Center for Scientific and Technical
Research on Arabic Language
Development -Unit Ouargla
- Algeria

¹ المؤلف المرسل: سميرة بن موسى

ملخص البحث

شهد حقل اللسانيات تطوراً كبيراً، ظهرت من خلاله نظريات متعدّدة، ارتبطت أغلبها بحقول معرفية مجاورة، وكانت النظرية العرفانية ثمرة التلاقح بين المعارف اللغوية والمعارف النفسية والعصبية، لتتشكل نظرة جديدة للغة في هذا الإطار. وقد حاول العديد من المؤلفين العرب تطبيق ما توصلت إليه النظرية العرفانية من نتائج على مباحث لغوية تراثية، وإعادة صياغتها وفق تصوراتها الحديثة. والاستعارة باب من أبواب المجاز، وهي من بين المباحث التراثية التي حاول المؤلفون العرب دراستها وفق النظرية العرفانية، ومن ذلك ما قدمه عطية سليمان أحمد في كتابه (الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية)، وهو من بين النماذج الكثيرة في هذا المجال.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تقديم قراءة في كتاب (الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية): لمعرفة كيف درس المحدثون الاستعارة القرآنية وفق النظرية العرفانية.

ولتحقيق الهدف من هذه الدراسة سنستعرض قضايا النظرية العرفانية وتطبيقاتها في دراسة الاستعارة القرآنية، وذلك وفق منهج وصفي لما جاء في الكتاب.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، العرفانية، الاستعارة القرآنية.

ABSTRACT:

Linguistics have witnessed great development, many theories have appeared. Most of them have linked adjacent sciences. Cognitive theory has been a result of the connection between Linguistics, Psychology and Neurology, in that regard a new language vision has been formed. Many Arab authors have tried to apply results, that Cognitive theory reached to, on traditional linguistic topics and reformulate them into modern concepts.

Metaphor is a part of Figurative Language, that Arab authors have tried to study among traditional linguistic topics according to a Cognitive Theory. As sample, Atiya Suleiman Ahmed's book: (Quranic Metaphor in Cognitive Theory), in which he has presented many models in this field.

This research paper seeks to provide a reading of the book (Quranic Metaphor in Cognitive Theory) to know how researchers studied Quranic metaphor through cognitive theory.

Therefore, we review the Cognitive Theory issues and its applications in Quranic metaphor studies, by using descriptive approach.

Keywords: metaphor, cognitive, Quranic metaphor.

1. مقدمة:

تتطور مناهج البحث في اللغات باستمرار، فتظهر النظريات الحديثة والمصطلحات المصاحبة لها، وتنعكس على مقاربات للنصوص اللغوية، وتتوافق طبيعة حداثة هذه النظريات - في الغالب - مع فلسفة واضعها ومرجعياتهم ولغاتهم. وبذلك فإن تطبيق هذه النظريات وإسقاطها على بيئات مختلفة ولغات متنوعة يحتاج إلى فهم طبيعة النظرية والهدف منها أولاً، ثم مدى ملائمتها للمادة التي ستُسقط عليها.

والنظرية العرفانية من بين النظريات الحديثة، التي سعى الدارسون إلى استثمار نتائجها في تطبيقها على التراث العربي بمجالاته المختلفة، وكان للتراث البلاغي نصيب كبير في ذلك، فظهرت مؤلفات عديدة تعيد قراءة التراث العربي البلاغي وفق تصورات النظرية العرفانية، نقدم نموذجاً عنها من خلال قراءة في كتاب "الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية" لصاحبه: عطية سليمان أحمد.

2. مفاهيم ومصطلحات:

1.2 الاستعارة في التراث العربي البلاغي:

الاستعارة باب من أبواب البيان، وهي أحد أهم المباحث البلاغية في التراث العربي، اعتنى بها اللغويون قديماً وحديثاً، فكانت من أكثر المباحث دراسة وتمحيصاً وتأليفاً.

أما عن مفهومها اللغوي: فالاستعارة من (عَوَرَ وَعَيْرَ). جاء في معجم العين: والعاريَّةُ: ما اسْتَعَرْتَ من شيء، سُمِّيَتْ به، لأنها عار على طلبها، يُقال: هم يَتَعَاوَرُونَ من جيرانهم الماعون والأمتعة. ويقال، العاريَّة من المعاورة والمناوئة. يَتَعَاوَرُونَ: يأخذون ويُعطون. (الفراهيدي، دت، ج 2/ ص 239)

وجاء في لسان العرب: "العاريَّة والعارة: ما تداولوه بينهم؛ وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إيَّاه. والمعاورة والتَّعاوُر: شبه المداولة والتَّداول في الشيء يكون بين اثنين". (ابن منظور، دت، ج 4/ ص 618).

نلاحظ أن المعنى اللغوي للاستعارة يشير إلى الأخذ والعطاء؛ أي تداول الشيء بين اثنين أو أكثر.

أما عن مفهومها الاصطلاحي: فيقول أحمد مطلوب: "لعل الجاحظ أول من عرفها بقوله: الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه" (مطلوب، 1403هـ/ 1983م، ج 1/ ص 138). فالبلاغيون قبل الجاحظ ذكروا الاستعارة كمصطلح ومثلوا لها ولكنهم لم يقدموا تعريفاً لها، والملاحظ أن البلاغيين القدماء اتفقوا على أن الاستعارة تعني "استخدام اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي" (الشيخ، 1986، ص 167)، فالاستعارة عند القدماء لا تخرج على كونها عملية لسانية تربط بين شيئين بينهما علاقة مشابهة وهي ذات وظيفة جمالية.

وتتكون الاستعارة من ثلاثة أركان: وهي المستعار منه: وهو المشبه به، والمستعار له: وهو المشبه، والمستعار: وهو اللفظ الذي نُقل من المستعار به إلى المستعار له. كما "لابد للاستعارة من قرينة تدلّ على أنها ليست تعبيراً حقيقياً". (مطلوب، 1403هـ/1983م، ص142)، فهي تعبير مجازي يربط بين عنصرين لوجود علاقة شبه في صفاتهما.

واستخدام المجاز وتمثله له دور مهم في فهم اللغة، لكونه يتعدى الوظيفة الجمالية إلى الوظيفة العقلية واللسانية التي يؤديها، لذلك نجد أن "اهتمام المقاربات العرفانية اتجه صوب ظاهرتي الاستعارة والمجاز المرسل والمجاز عموماً، لأنه انتهى الأمر بالمنظرين للغة والعرفان إلى الإقرار بأنه لا يكتمل فهم اللغة والقدرات اللسانية دون تمثيل واضح للمجاز." (مصمودي، 1438هـ/2017م، ص12) فالمجاز يثبت مهارة الملقى والمتلقي على حد سواء في فهم وتمثيل الرسائل اللسانية بين الطرفين.

2.2 النظرية العرفانية:

يعد مصطلح العرفانية من المصطلحات الحديثة، وهو مقابل للمصطلح الأجنبي "Cognitive"، ويرجع الأصل اللغوي لمصطلح العرفانية إلى الجذر (ع ر ف)؛ ومما ورد في المعاجم اللغوية حوله:

- في معجم العين: "عَرَفْتُ الشيءَ مَعْرِفَةً وَعِرْفَانًا، وَأَمَرْتُ عَارِفًا وَمَعْرُوفًا وَعَرِيفًا" (العين، دت، مادة عرف).

- في المعجم الوسيط: "عَرَفَ الشيءَ عِرْفَانًا وَعِرْفَانًا، وَمَعْرِفَةً: أدركه بحاسة من حواسه، فهو عَارِفٌ، وَعَرِيفٌ" (مجمع اللغة العربية، 1425هـ/2004م، ص595)

نلاحظ أن المعرفة والعرفان لغة بمعنى العلم والإدراك.

أما في الاصطلاح فيعرف لايكوف العرفانية بقوله: "هي حقل جديد يجمع ما يُعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس، واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية، وهو ينشد أجوبة مفصلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النظام المفهومي نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام؟ وإن لم يكن كذلك، فما هو بالتحديد ذاك الشيء المشترك بين بني البشر جميعهم في ما به يفكرون؟ فالأسئلة ليست جديدة لكن بعض الأجوبة جديد" (الزناد، دت، ص15)، وتعريف لايكوف للعرفانية تعريف شامل ودقيق، فالعرفانية علم يجمع بين عدة علوم تضافرت لتدرس كيفية اشتغال الذهن. " عملت هذه العلوم الجديدة على وصف الدماغ البشري ووصف قدراته كالتعبير باللغة والاستدلال والإدراك، وعلى تفسير أسبابها وكيفيات اشتغالها" (الزناد، دت، ص27)، والعلوم العرفانية تعتمد على الدراسات والبحوث التجريبية.

3.2 اللسانيات العرفانية:

علم حديث جاء نقيضاً للتيارات السابقة البنيوية والتوزيعية والشكلية، وتُطلق اللسانيات العرفانية على "تيار أو حركة تجمع عدداً من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنها مختلفة متنوعة متداخلة في بنائها ومشاكلها وتوجهاتها ومجالات العناية بها" (الزناد، دت، ص 27)، فاللسانيات العرفانية تجمع بين مجموعة من العلوم: كعلم النفس، وعلم الأعصاب، واللسانيات، والحاسوبيات، والأنثروبولوجيا، وغيرها من العلوم التي تهتم بعمل الذهن "فالنظام اللغوي من منظور اللسانيات العرفانية غير مستقل عن الذهن والإدراك، بل له علاقة وطيدة ومترابطة داخلياً من خلال الذهنية، وخارجياً من خلال تمظهر هذه العمليات الذهنية وإنجازاتها" (سحالية، ديسمبر 2022، ص 30). وهذا على عكس النظرة التقليدية للغة التي تنظر إليها على أنها مكون مستقل ومنعزل، "الفرضية الأساسية التي يدافع عنها التيار العرفاني تنص على أن كل هيكل أو نظام عرفاني يكون فاعلاً في محيطه عن طريق تشكيله تمثيلات ذهنية عن هذا المحيط، تشكيلاً تمليه عليه الثقافات والعقائد والرغائب، وتكون هذه التمثيلات ذهنية داخلية غير واعية" (مصمودي، 1438هـ/2017م، ص 13)، واللغة نظام عرفاني وهي أهم مظهر يمكن من خلال الكشف عن طبيعة الذكاء البشري.

3. قراءة في كتاب "الاستعارة القرآنية وفق النظرية العرفانية":

1.3 الدراسة الظاهرية للكتاب:

عنوان الكتاب	الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي - البنية التصورية - النظرية العرفانية)
المؤلف	عطية سليمان أحمد
عدد الصفحات	163 صفحة
تاريخ النشر	2014م
الناشر	الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي
مكان النشر	القاهرة، مصر
واجهة الكتاب وخلفيته	

2.3 الدراسة الباطنية للكتاب:

1.2.3 نبذة عن الكاتب وأهم مؤلفاته:

تاريخ النشر: 2024/10/01م

عطية سليمان أحمد هو أستاذ العلوم اللغوية كلية الآداب جامعة السويس، وعميد قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة السويس.

للكاتب مجموعة من المؤلفات أبرزها:

- الإتياع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث.
- الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمنج المفهومي والتداولية سورة يوسف نموذجاً.
- الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية.
- اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشعري.....

وغيرها من الكتب القيمة والنافعة في مجالات مختلفة، منها: اللسانيات العصبية وعلم النفس وعلم الأصوات وعلم الدلالة والأسلوبية واللهجات واللسانيات العرفانية، و...

2.2.3 محتوى الكتاب:

يضم كتاب " الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية" مقدمة وبابين وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

أ- المقدمة:

أكد الكاتب في مقدمة كتابه على ضرورة دراسة كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم)؛ لتعلم كيف يكون البيان وكيف يُبنى الكلام، وللنظر في إعجازه الذي فتن العلماء قديماً وحديثاً. وهو على - حد قوله - يريد بتأليف الكتاب طرق باب من أبواب البيان وهو باب الاستعارة، فجمع فكر القدماء والمحدثين في هذا الباب، مع الاعتماد على دراسة ميدانية في كتاب " تلخيص البيان في مجازات القرآن " للشريف الرضي؛ حيث جعل الكتاب القاعدة التي ينطلق منها إلى الأمثلة التطبيقية على الاستعارة القرآنية، فبيّن رأي القدماء حول الصورة الاستعارية، ويدخل هذا التصور القديم إلى ما يراه المحدثون.

ويشير الكاتب إلى أن الهدف من دراسته هذه هو توضيح إعجاز الكتاب الكريم، وليس الغرض منه تطويع النص القرآني للنظريات الدلالية الحديثة أو مجاراتها.

أما عن الأمور التي دفعت الكاتب للبحث في قضية الاستعارة القرآنية فيقول: " أعجبتني عبارة لهؤلاء الباحثين المحدثين وهي الاستعارة الميتة في مقابل الاستعارة الحية (...) وهذا القول جعلني أعيد التفكير في قضية تغيير الاستعارة، فإذا كانت الاستعارة تُولد جديدة نتيجة الإبداع والابتكار كل يوم، ثم تصبح قديمة بعد ذلك، بل ميتة، فكيف يكون في القرآن الكريم مثل هذه الاستعارات التي تتحول من الجديد إلى القديم والميت والمبتذل؟ (...) كيف تتجدد هذه الاستعارة ولا تُبتذل رغم انقطاع الوحي؟" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص 07)

فالكتاب بهذا الطرح محاولة من الكاتب لإبراز أن الاستعارة القرآنية إعجاز من الله تعالى، فهي استعارة تحمل صورا متجددة، وسَيُبَيِّن الكاتب ذلك من خلال تطبيقات النظرية العرفانية على مبحث الاستعارة القرآنية.

ب- أبواب الكتاب وفصوله:

جاء الكتاب في بابين: الباب الأول: نظرية الاستعارة، وانقسم على ثلاثة فصول.

* الفصل الأول: الاستعارة عند القدماء: تطرّق إلى الاستعارة عند القدماء وتحدّث عن مفهومها عند ابن رشيقي القيرواني والذي يرى أن الهدف من الاستعارة إنما هو من باب مخاطبة الذكاء عند المتكلم والمستمع وليس لقلّة الألفاظ ولا لضيق الأفكار (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص 11).

كما أشار إلى أن هدف القدماء من الاستعارة هو التواصل بينهم والتفاهم، لذلك استخدمها القرآن الكريم لشرح أشياء لم يرها الإنسان ووصفها كالجنة والنار والهدى والضلال (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص 12).

لم يخض الكاتب في هذا الفصل في عرض تعريفات كثيرة للاستعارة عند القدماء وبيان الهدف منها، واكتفى بما جاء على لسان ابن رشيقي القيرواني: أن الاستعارة عند القدماء هدفها تحقيق التواصل بين البشر.

* الفصل الثاني: مفهوم النظرية الاستعارية: بدأ الكاتب هذا الفصل بسؤال: ما الاستعارة؟

وكانت الإجابة: "إن الاستعارة في أبسط صورها هي وسيلة لفهم مجال من خلال مجال آخر." (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص 14)

ثم تطرّق الكاتب إلى ما يجب دراسته من عناصر الظاهرة الاستعارية، وقد حددها في أربعة عناصر (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص 15/16):

أولاً- الجانب العقلي: وهو الذي تتم فيه وبه عملية الاستعارة.

ثانياً- الشبكة الدلالية الموسعة: وهي الشبكة الموسعة التي تربط بين الألفاظ.

ثالثا- الجانب الإبداعي والمتمثل في ابتكار الجديد من خلال اكتشاف روابط بين الأشياء لإبداع استعارات جديدة.

رابعا: القدرة الاستمرارية للاستعارة ويُقصد بها قدرة الاستعارة على الشيع والانتشار في المجتمعات المختلفة، وكيفية تحولها إلى استعارة ميت أو مبتذلة.

واصل الكاتب حديثه عن مفهوم النظرية الاستعارية فتطرق إلى مجموعة من العناصر وهي على الترتيب:

✓ جوهر الإبداع في الاستعارة: ويتمثل في الجمع بين شيئين متناقضين بعين مبتكرة تلتقط نقطة التشابه بينهما.

✓ دور الاستعارة في تنمية اللغة: وهي عملية تنمية اللغة من خلال الاستعارات، وهي عملية معقدة تكون بإخراج استعارات جديدة تنتشر في المجتمع، ثم يُنسى أنها استعارة وتدخل في معاجم اللغة كدلالات لكلمة ما.

✓ الاستعارة الحية والاستعارة الميتة: والاستعارة الحية هي الاستعارة المبتكرة الجديدة تتحول بال تكرار إلى استعارة ميتة فالاستعارة الميتة كانت يوما ما استعارة جديدة.

✓ من أسباب موت الاستعارة:

تمر الاستمارة بالمسار التالي: استعارة وليدة ← استعارة عرفية ← استعارة ميتة

ومن أسباب موت الاستعارة: تطور اللغة وعامل النسيان الذي يطال الإنسان مبتكر الاستعارة حين ينسى أصل الاستعارة، وتبقى الاستعارة على أنها أصل فتتحول إلى استعارة ميتة.

✓ كيف تبقى الاستعارة؟ على الاستعارات أن ترتبط مع بعضها البعض وتُشكّل شبكة من العلاقات، يستدعي بعضها بعضا، هذا الترابط يجعل الاستعارة ثابتة ومستقرة في الذهن.

✓ الاستعارة القرآنية بين الموت والحياة:

الاستعارات القرآنية استعارات حية ومتجددة باختلاف الأجيال المتلاحقة، وسرّ ثبات الاستعارة القرآنية هو أن القرآن الكريم اعتمد في استعاراته على صفات ثابتة في الشيء لا تبدّل عبر الأجيال.

✓ ما فعله النص القرآني في استعاراته لتكون ثابتة ومتجددة:

أولا- اعتمد على صفات ثابتة لا تتغيّر في الشيء المستعار.

ثانيا- الاستعارة من صور ذهنية ثابتة وواضحة ومرتبطة ببيئة العربي.

ثالثا- المستعار له تتحول استعارته إلى صفة ثابتة فيه لا تتغيّر.

رابعا- الهدف من أغلب الاستعارات إصدار أحكام أبدية.

خامسا- الغاية من الاستعارات القرآنية غاية تفهيمية (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص22)

ختم الكاتب هذا الفصل بمجموعة من الأمثلة القرآنية التي تشير إلى عوامل ثبات الاستعارة القرآنية وفق الأسس السابقة الذكر.

الفصل الثالث: نظريات في تحليل الاستعارة:

تطرق الكاتب في هذا الفصل إلى نظريات في تحليل الاستعارة من جوانب عديدة، وقد فصل الحديث عن هذه النظريات وهي: النظرية الأولى: النموذج الشبكي، والنظرية الثانية: البنية التصويرية، والنظرية الثالثة: النظرية العرفانية.

❖ نظرية النموذج الشبكي الدلالي: توصّل الكاتب في نهاية عرضه لهذه النظرية وطريقة تحليلها للاستعارة إلى أن " هذه النظرية تستطيع أن تضعنا في إطار المعاني الكاملة للكلمة والمتولدة والمحتملة، من خلال العلاقات التحديدية والتخصيصية والإبداعية لها، فنرى القدرة الفعلية للكلمة على إنتاج عدد لا نهائي من المعاني" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص37). فالتحليل الاستعاري بواسطة نظرية النموذج الشبكي يجعلنا نخرج عددا من المعاني المختلفة للكلمة الواحدة.

❖ نظرية البنية التصويرية: وتعمل هذه النظرية على مستوى الجانب النفسي وتأثيره على دراسة المعنى؛ حيث إن الأنساق التصويرية التي تُبنى داخل الذهن يستعين فيها الذهن باللغة إضافة إلى تجاربه ومعارفه وثقافته "فأنساقنا التصويرية العادية التي نفكر بها ونعمل على ضوءها، هي أساسا أنساق استعارية في طبيعتها وبهذا المعنى تُعتبر الاستعارة المبنية للشبكات التصويرية عبر توافقات جزئية، ذلك أن جوهر الاستعارة يكمن في فهم نمط الأشياء، والتعامل معها من خلال نمط آخر" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص41). والجملة الاستعارية وفق هذه النظرية "يمكن أن تعطي أكثر من تصور نتيجة لطبيعتها، وقدرة المستمع على تحليل مكوناتها بالنظر إليها من جوانب متعددة" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص49).

توصل الكاتب من خلال عرضه النظريتين السابقتين النموذج الشبكي والبنية التصويرية إلى أنه يمكن النظر إلى الاستعارات القرآنية من منظورين متكاملين، لذلك يمكن تحليل العبارات الاستعارية بأكثر من منهج دون تعارض بينها، وقد قسّم الاستعارة إلى قسمين هما:

- الاستعارة المفردة: وهي " التي تنطلق من كلمة واحدة، ثم تنطلق منها عدة استعارات، نتيجة لأنها تبثّ عددا لا نهائيا من الدلالات باستخدامها النموذج الشبكي الموسع" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص50). أي أن الكلمة تنمو وتتسع لتغطي عددا كبيرا من الدلالات والمعاني دون الحاجة إلى ألفاظ أخرى تُعبّر عنها، وهذا يسهم في ثراء اللغة.

- الاستعارة المركبة: وهي "الاستعارات التي تُسهم في بناء صورة متكاملة عن شيء ما في البنية التصورية، قد تتكون من عدة استعارات أو استعارة واحدة" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص51)، مما يساعدنا على بناء صورة من جوانب مختلفة.

❖ النظرية العرفانية: تطرق الكاتب في هذه الجزئية من كتابه إلى مفهوم العرفان والفرق بين نظرية المعرفة والنظرية العرفانية واللسانيات العرفانية وعلم الدلالة العرفاني ودعائمه الأساسية المقولة والفهم والخيال والتجسيد، والتي تُعد مفاتيح أساسية لإدراك المعنى من خلال النظرية العرفانية. (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص54-56)

كما تطرّق الكاتب إلى:

أ- الاستعارة والنظرية العرفانية:

أورد الكاتب مفهومًا للاستعارة العرفانية حيث يرى أنها عملية إدراكية كامنة في الذهن وهي ذات طبيعة تصورية لا لسانية، وهي عمل يقوم به كل البشر لإدراك ما حولهم، والكاتب بهذا يرى أن العرفانيين أحدثوا ثورة في مفهوم الاستعارة وتصورنا عنها وعن الإنسان وعلاقته بالعالم واللغة والثقافة (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص56/57).

ب- مراحل بناء الاستعارة:

تتكون الاستعارة عند العرفانيين من استعارات تصورية، وهي عملية تصورية عقلية تبدأ بها الاستعارة فهي طريقة في التفكير، وتعابير استعارية وهي عملية لغوية يتم بها نطق الاستعارة وهي طريقة في الكلام.

ج- المبادئ التي تتأسس عليها الرؤية الاستعارية عند العرفانيين:

حدد الكاتب مجموعة من المبادئ التي تقوم عليها الاستعارة وتبني وفقها عند العرفانيين، والملاحظ أن هذه المبادئ تقوم على عمل الذهن وقدرته على التصور وفهم المفاهيم المجردة، على اعتبار أن الاستعارة العرفانية ذات طبيعة تصورية وليست لغوية.

وتحدث الكاتب عن دور الذهن في عملية الفهم وبناء الصورة الاستعارية؛ حيث قام بالمقارنة بين النظرية الفلسفية الكلاسيكية والنظرية العرفانية فيما يتعلق بالذهن طبيعة ومادة واشتغالا.

وقد توصّل الكاتب في نهاية هذه المقارنة وكخلاصة إلى تحديد مجموعة من النظريات الجزئية، والتي تُعد نظريات فرعية للنظرية العرفانية وهي كالتالي: - نظرية الاستعارة المفهومية- نظرية الجسدنة- نظرية الخطاطة- نظرية الأفضية الذهنية.

قدّم الكاتب شرحاً مفصلاً لكل نظرية، وتوصّل إلى أن "تحليل الصورة الاستعارية ممكن بالاستعانة بهذه النظريات التي تُسهم في بنائها، وذلك ببحث عمل كل نظرية في بناء الصورة كما يلي:

- 1- نظرية الاستعارة المفهومية لها دور في بناء الصورة بإسقاطاتها المختلفة، فما هو؟
- 2- نظرية الجسدنة تقوم بتحديد دور الجسد في بناء الصورة، أين هذا الدور؟
- 3- نظرية الخطاطة كيف تعمل على بناء النص لإدراك الصورة؟" (عطية سليمان أحمد،

2014م، ص73)

الباب الثاني:

الفصل الأول: الرجل والكتاب:

استهل الكاتب هذا الباب بمقدمة موجزة وضّح فيها العمل الذي سيقوم به في الجانب التطبيقي، والمتمثل في عرض النظريات الحديثة التي سبق ذكرها على آيات القرآن الكريم لتحليل المعاني ودراسة الاستعارات، وهذا لمناقشة كيف فهم المتلقي الصور الاستعارية القرآنية. وأشار الكاتب إلى أنه استعان في دراسته التطبيقية بكتاب "تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشريف الرضي، وقد تناول هذا الفصل النقاط التالية: الشريف الرضي - قيمة الكتاب - القدرة الإبداعية للشريف الرضي على تأويل الاستعارة - مقارنة بين تحليل الشريف الرضي وتحليل ابن قتيبة.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية للاستعارة القرآنية:

أورد الكاتب في هذا الفصل دراسة تطبيقية للاستعارة القرآنية في خمسة موضوعات وهي: الغشاوة، والمرض، والاستهزاء، والبيع والشراء، والبرق.

وقد سار الكاتب وفق مسار موحد في دراسة هذه الموضوعات: فيبدأ بما قاله الشريف حول الاستعارة التي في الآية، ثم يبحث عن تفسير الآية في كتب التفسير، ثم معاني الكلمات في المعاجم وكتب المشترك اللفظي. ثم يطبّق عليها النظريات الدلالية الحديثة وهي: نظرية النموذج الشبكي الموسع من خلال العلاقات المختلفة (تحديد، وتخصيص، وإبداع)، ونظرية البنية التصورية وتحديد نوع الاستعارة (بنوية، وأنطولوجية، واتجاهية)، والنظرية العرفانية من خلال دور الاستعارة المفهومية، ومكانة الجسد في الصورة، وكيف يتم عمل خطاطة الصورة.

مثال: المرض:

المرض من الموضوعات التي كانت ضمن نطاق الدراسة التطبيقية التي قام بها الكاتب، وقد أورد في بداية حديثه قول الشريف الرضي "عن قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: الآية

[10]، المرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة، لأنه فساد في القلوب، كما أنه فساد في الحقيقة، وإن اختلفت جهة الفساد في الموضعين" (الرضي، دت، ص113).

وبعد تعليقه على قول الشريف عَرَضَ الكاتب معنى كلمة المرض وتحليلها في المعاجم التالية: العين وتاج العروس ولسان العرب والمفردات في غريب القرآن، ثم عرض معنى الكلمة في كتب المشترك اللفظي.

بعدها انتقل إلى تطبيق النظريات الحديثة على هذه الاستعارة فبدأ بنظرية النموذج الشبكي الموسع، ثم نظرية البنية التصورية ثم النظرية العرفانية.

عند تطبيقه للنظرية العرفانية تناول ما يلي:

1- الاستعارة المفهومية: الاستعارة هنا كانت بالمقابلة بين صورتين أو عنصرين هما المرض الجسدي والمرض المعنوي، والذي يعني به النفاق والكفر، والاستعارة المفهومية قرّبت لنا صورة المرض المعنوي من خلال ما يشعر به المريض الجسدي من قلق واضطراب وتوتر. (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص106)

2- خطاطة الصورة: بالربط بين صورة النفاق والكفر وصورة المرض، وهي صورة معروفة ومفهومة ومكروهة من كل الناس، وهنا يُستحضر المصدر والذي هو ألم المرض، ليُفهم الهدف وهو الألم الذي يسببه الكفر والنفاق.

3- نظرية الجسدنة: للجسد دور محوري في هذه الصورة حيث تمت المقابلة بين المرض الذي ينزل بالجسد وأمراض الفكر، من خلال الشعور بالألم في العنصرين معا- الجسد والفكر.

الفصل الثالث: وظيفة المجاز في القرآن الكريم:

الاستعارة باب من أبواب المجاز، وبعد التحليلات التي قدمها الكاتب لبعض آيات القرآن باستخدام نظريات تحليل المعنى الأنفة الذكر توصلَ الكاتب إلى أن المجاز حقيقة واقعة، وله وظائف تسهم في توضيح المعنى وهي كالتالي في القرآن الكريم: (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص128-135)

1 تصوير المجهول: كالجنة والنار والملائكة، و.....

2 المجاز ليس كذبا فهو مرآة تعكس كل جزئيات الصورة التي لا نراها ولكن يراها الآخرون.

3 المجاز ليس عجزا عن التعبير بالحقيقة: فالتعبير الاستعاري ليس عجزا بل هو وسيلة للتعبير والشرح والإفهام.

4 المجاز باب من أبواب الجمال في القرآن: فهو إبداع جديد يتيح للسامع التخيل ومحاولة الفهم والإدراك.

5 الثراء اللغوي: وذلك بما تحمله الاستعارة القرآنية من مصادر لإلهام الأدباء وعامة الناس.

الفصل الرابع: دور الاستعارة القرآنية في بناء البنية التصويرية:

تناول الكاتب في هذا الفصل دور الاستعارة في بناء البنية التصويرية من خلال وصف أشياء غيبية لم نرها كالجنة والنار ... بتقريبها لنا من خلال أقرب صورة لها لما في عقولنا؛ فأيات القرآن الكريم واستعاراته جاءت لتعطي لنا تصورا عن الحياة التي بعد الموت وتبني لنا بنية تصويرية عن ذلك العالم. (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص138)

الفصل الخامس: قيمة النظرية العرفانية في فهم النص القرآني:

النظرية العرفانية من النظريات الحديثة التي أسهمت في فهم النص القرآني، ووضعه قيد دراسات جديدة، لقراءته من جديد واكتشاف إعجازه الذي لا ينقطع.

وقد فصل الكاتب في كيفية بناء الصورة الاستعارية في القرآن في ضوء النظرية العرفانية، وذلك من خلال ما وضعه القرآن من أسس وقواعد لهذا العمل، وتكون البداية بتحديد الصورة التي يريد نقلها إلى ذهن المستمع، ثم تحديد خصائص الشيء للبحث عن الشيء الذي يشبهه في عالم المحيط بنا.

* إعمال النظريات العرفانية في تحليل الصورة الاستعارية:

1 نظرية الاستعارة المفهومية: تقوم هذه النظرية على عناصر التشابه بين شيئين الشيء الأول معلوم ومعروف في بنيتنا التصويرية والشيء الثاني مجهول" وتقوم هذه الاستعارة بتعظيم عناصر التشابه بينهما، وإخفاء عناصر الاختلاف، لبدو لنا أن الشيء الأول هو الشيء الثاني بكل خصائصه" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص157)، قدّم الكاتب مثالا توضيحيا، في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: آية 133]، الاستعارة المفهومية هنا جمعت بين شيئين الشيء الأول المعروف وهو عرض السموات والأرض، والشيء الثاني المجهول مساحة الجنة وأبعادها.

2 نظرية الخطاطة: تقوم هذه النظرية على وضع خطوط المساحة وهي خطوط تحدّد الصورة الذهنية تقريبا، ففي المثال السابق بعد الاستعارة المفهومية حدّدت لنا هذه الآية صورة مساحة هذه الجنة و"أصبح لعملية خطاطة الصورة دور كبير في تحديد شكل ومساحة الجنة" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص158)

3 نظرية الأفضية الذهنية: صورة السماء والأرض هي صورة مسبقة في الفضاء الذهني للمتلقى، والمساحة بين السماء والأرض هي أكبر ما في فضائه الذهني، واختيار هذه الصورة للدلالة على مساحة الجنة هو من عظمة الخالق وعلمه بخلقه وقدراتهم الذهنية.

4 نظرية الجسدنة: تقوم هذه النظرية على استحضار الجسد في كل تفكيرنا، "لهذا عندما يقول الحق (عرضها السموات والأرض) فإننا ندخل في حسابنا - دون أن نشعر- أجسادنا، فهذه المساحة عندما نسمعها لأول وهلة، تحدث مقارنة بين حجم هذه المساحة وحجم أجسادنا، وكذلك موقع أجسادنا، كنقطة بداية، وما بين السماء والأرض كنقطة نهاية، لتحديد هذه المساحة فتبدو كبيرة جدا" (عطية سليمان أحمد، 2014م، ص159)

ج- الخاتمة (خاتمة الكتاب):

أشار الكاتب في خاتمة كتابه إلى أن عمله محاولة لفهم النص القرآني وإعجازه في بناء استعارات قرآنية متجددة وثابتة. وقد أوصى الكاتب بضرورة دراسة النص القرآني في ضوء الدراسات الحديثة لفتح أبواب جديدة لفهمه وإدراكه.

4. استنتاجات:

- بعد قراءة كتاب "الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية" لعطية سليمان أحمد خلصنا إلى جملة من النتائج حول النظرة العرفانية للاستعارة، نلخصها فيما يلي:
- وظيفة الاستعارة ليست لغوية وجمالية فقط بل تتعداها إلى الوظيفة العقلية التي تعتمد على التفكير والإدراك العقلي.
- الاستعارة في التراث البلاغي العربي منجز لغوي له وظيفة جمالية بالإضافة إلى التواصل بين الناس، أما في النظرية العرفانية الاستعارة وظيفتها عقلية مرتبطة بطريقة اشتغال الذهن.
- الاستعارة ليست ترفاً أدبياً إنما تستعمل في الخطابات اليومية.
- النظرية العرفانية أعطت لمبحث الاستعارة نفساً جديداً، ومجالاً مستحدثاً للدراسة وفهم آليات بناء الاستعارة وانتشارها.
- الاستعارة القرآنية استعارة ثابتة ومتجددة، عكس غيرها من الاستعارات التي تُولد جديدة ثم تذبل وتموت.
- حددت النظرية العرفانية ما يجب دراسته من عناصر الظاهرة الاستعارية وهي: الجانب العقلي والشبكة الدلالية الموسعة والجانب الإبداعي والقدرة الاستمرارية للاستعارة.
- سر ثبات الاستعارات القرآنية هو اعتماد القرآن في استعاراته على صفات ثابتة لا تتغير بتغير الأجيال.

- الاستعارة من المباحث البلاغية التي دُرست وفق نظريات حديثة أعطتها نظرة جديدة تسير مستجدات الدرس اللساني الحديث.
- الاستعارة وفق نظرية النموذج الشبكي الدلالي تُخرج لنا عددا من المعاني المختلفة للكلمة الواحدة.
- الاستعارة وفق نظرية البنية التصورية تعطينا أكثر من تصور، وهذا راجع لطبيعتها ولقدرة المستمع على تحليلها من جوانب متعددة.
- الاستعارة وفق النظرية العرفانية ليست ظاهرة لغوية ناتجة عن استبدال أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي بل هي عملية إدراكية داخل الذهن فهي ليست لسانية بل تصورية.
- الاستعارة العرفانية = عملية تصورية عقلية + تعابير استعارية.
- الاستعارة بنظرة عرفانية ناتجة عن تصوراتنا الثقافية التجريبية لتسهيل الفهم والتواصل.
- لتحليل الاستعارة عرفانيا نطبق النظريات التالية:
- * نظرية الاستعارة المفهومية: كيف تُبنى الصورة الذهنية؟ من خلال الإسقاطات بين الشيء المعلوم والآخر المجهول.
- * نظرية الجسدنة: ما هو دور الجسد في بناء الصورة؟
- * نظرية الخطاطة: كيف يبني النص لفهم الصورة؟
- * نظرية الأفضية الذهنية: وهي صور مسبقة في الفضاء الذهني للمتلقى.
- للمجاز (الاستعارة) دور مهم في توضيح المعنى في القرآن الكريم.
- للاستعارة القرآنية دور مهم في بناء البنية التصورية للأشياء الغيبية في عالم الحياة التي بعد الموت.
- أسهمت النظرية العرفانية في فهم النص القرآني وقراءته من جديد.

5. خاتمة:

في الختام نقول: إن هذا المقال قراءة في كتاب "الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية" لعطية سليمان أحمد، وهي محاولة منا لمعرفة كيف درس المحدثون ومنهم صاحب الكتاب الاستعارة وفق النظرية العرفانية.

وحسب تقديرنا فإن صاحب الكتاب قد وُفقَ بدرجة كبيرة في طرق باب الاستعارة وفق النظريات الحديث، بتوظيف معطيات بحوث ودراسات المحدثين فأحسن في وضع الاستعارات القرآنية في مكانها اللائق بها كآيات معجزات، بدراسة جادة قام فيها بتحليل الاستعارات القرآنية عرفانيا، وهنا أثبت الكاتب

أنّ طريق الدراسة والبحث والإبداع لا ينتهي وأن التراث العربي مجالاً خصباً للباحثين لسبر أغواره وبعثه من جديد باستثمار الدراسات الحديثة.

المراجع:

- أحمد مطلوب، (1403هـ/1983م)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، دط.
- الأزهر الزناد، (دت)، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، دط.
- الشريف الرضي، (دت)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار إحياء الكتب العربية، دط.
- عبد الحكيم سحالية، (ديسمبر 2022م)، أسس اللسانيات العرفانية، المنطلقات والاتجاهات المعاصرة، مجلة دراسات معاصرة، تيسمسيلت، الجزائر، مج 6، ع 2، ص 29-39.
- عبد الواحد حسن الشيخ، (1986م)، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، دط.
- عطية سليمان أحمد، (2014م)، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، دط.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (دت)، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، دط.
- مجمع اللغة العربية، (1425هـ/2004م)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4.
- مكتبة لسان العرب: تاريخ النشر: 2024/10/01
- https://www.lisanarb.com/2024/01/pdf_783.html?m=0
- ابن منظور، أبو الفضل، (دت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت دط.
- وسيمة نجاح مصمودي، (1438هـ/2017م)، المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1.